

الفصل الأول

ترجمة سيد قطب رحمه الله وكتابه "في ظلال القرآن"

المبحث الأول: ترجمته

المطلب الأول: نشأته

في هذا الفصل الأول سيناقش الباحث عن حياة سيد قطب رحمه الله تعالى من صغره حتى آخر حياته، وهو مفكر إسلامي وشخص حركي في القرن الحاضر الذي كتب عدد من الكتب الإسلامية، وكان حياته مليئة بالإثارة والتشويق ومليئة بالتحديات والتجارب ومليئة بالعنف والامتحانات حتى انتهى حياته في السجن.

هو سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسن الشاذلي ولد في قرية مغمورة في صعيد مصر وهي قرية موشا^{١٦} تقع على جانب نهر النيل يمر من أراضيها الزراعية، فقد امتازت بالعديد من البساتين التي تُزرع فيها مختلف أنواع الخضار والفواكه، وكانت ولادته في التاريخ ١٨ شعبان ١٣٢٤ هـ الموافق ٩ أكتوبر ١٩٠٦ م، وتوفي في التاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦ م بعد تنفيذ حكم الإعدام له من حكومة مصر.^{١٧}

^{١٦} بعضهم يكتبوها "موشة" بالياء المربوطة، وبعضهم يكتبها "موشا" بالألف. انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح. ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. بيروت: الدار الشامية. ص. ٢٥.

^{١٧} المرجع نفسه. ص. ٢٢. انظر: العقيل، عبد الله. ٢٠٠١م. من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. د. م. : مكتبة المنار

الإسلامية. ص. ٦٤٩.

ولد سيد في القرية، تلك البيئة الخضراء التي حيث تشرق شمس الصباح التي ترسل ضوء النهار،

فيخرج البسطاء إلى المزارع والحقول لا يحملون إلا بالصبر والستر والدعاء لله،^{١٨} وكان أثر القرية على

نفسيته كبيراً، ويظهر ذلك من كثرة ذكره لها، وإشادته بمحاسنها وجمالها، بل إنه ألف كتابه "طفل من

القرية" ويبيّن فيه كثيراً من مزاياها وجمالها. عاش سيد قطب وسط أسرة متألّفة متجانسة، علاقة أفرادها

تقوم على المحبة والمودّة، فنشأ في هذه الأسرة على المعاني الإسلامية والقيم الدينية.^{١٩}

وكان والده هو الحاج قطب إبراهيم، قد صار عميد الأسرة المكلف حفظ اسمها ومركزها، في

الوقت الذي لم ينله من الميراث إلا نصيب محدود، لا ينهض بما كانت تنهض به ثورة الأسرة.^{٢٠}

فقد كان سيد قطب راشداً عاقلاً مشرّكاً في صحيفة يومية وعضواً في لجنة الحزب الوطني،

عميداً لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية والتي كان مكلفاً بحفظ اسمها ومركزها، وكان رجلاً قوياً

رزيناً رحيماً عطوفاً لين الجانبين حتى القلب.^{٢١}

فقد وصف سيد قطب أباه خيراً وصف قائلاً في مقدمة كتابه مشاهد القيامة في القرآن: "لقد

طبعَت فيّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعطني أو ترحمني، ولكنك كنت تعيش أمامي واليوم

الآخر في حسابك، ذكراه في ضميرك وعلى لسانك، كنت تعمل تشددك في الحق الذي عليك وتسامحك

في الحق الذي لك بأنك تخشى اليوم الآخر، وكنت تغفون عن الإساءة وأنت قادر على ردها لتكون كفارة

في اليوم الآخر، وإن صورتك المطبوعة في مخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فنفقراً الفاتحة

^{١٨} علي، عبد الفتاح. ١٩٩٦م. سيد قطب، سيرة ذاتية. مصر: شركة الربيعان. ص. ١٥.

^{١٩} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٥.

^{٢٠} المرجع نفسه. ص. ٣١.

^{٢١} حسين، عبد الباقي محمد. ١٩٨٦م. سيد قطب، حياته وأدبه. مصر: دار الوفاء. ط. ١. ص. ١٨.

وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة ونحن أطفالك الصغار نتمتع مثلك بآيات منها مبتفريات قبل أن نجيد حفظها كاملات".^{٢٢}

تزوج والد سيد قطب زوجتين أنجبت الأولى ولدًا وهو سيد، أما الثانية فقد أنجبت خمسة أولاد: ابنين وثلاث بنات، وهم: نفيسة وسيد قطب وأمينة ومُجد وحيدة،^{٢٣} وكان هو الابن الأول لأمه بعد أخت شقيقة تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بحيل كامل.^{٢٤}

وكانت والدته سيد قطب فاطمة بنت حسين عثمان، عاشت مع والدها فترة في القاهرة قبل أن يعود بالأسرة إلى القرية ويستقر فيها. كان لها إخوة أربعة اثنان منهم درسوا في الأزهر الشريف، أحد أخوالها هو أحمد حسين عثمان الذي درس في الأزهر - في حي الزيتون - واشتغل في الصحافة، وكان يكتب باسم أحمد الموشي نسبة إلى القرية موشة.^{٢٥}

هي من أسرة ماثلة أو أخرق، وقد وقع لها ما وقع لأسرته الوالد حرفًا بحرف ولكنه زاد عليها، أن اثنين من أخوانه كانا قد أفدا إلى الأزهر من القرية شأن غالبية الأسر الريفية الثرية، فأنشأ هذا في الأسرة شيئًا من الرقي العلمي بجانب الوجاهة الريفية.^{٢٦}

ومن شدة حبه لها رثاها بكلمات بليغة مؤثرة سنة ١٩٤٠م، قائلا: "لقد كنت تصوريني لنفسى كأنما أنا نسيج فريد منذ ما كنت في المهد صبيًا وكنت تحذيني عن آمالك التي شهد مولدها

^{٢٢} بركات، مُجد توفيق. ١٩٨٠م. سيد قطب حياته وأدبه، منهجه في الحركة النقد الموجه إليه. جدة: دار المنارة. ص. ١٨.

^{٢٣} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٤٠.

^{٢٤} المرجع نفسه. ص. ١٧.

^{٢٥} المرجع نفسه. ص. ٣٧.

^{٢٦} المرجع نفسه. ص. ٣١.

مولدي، فيتسرب في خاطري أنني عظيم وأني مطالب بتكاليف هذه العظيمة التي من نسيج خيالك ووحى حنانك".^{٢٧}

يضاف إلى هذا كله، أن جدّه لوالدته كان قد قضى شطرا من حياته في القاهرة. هو وزوجته، حتى إذا عاد إلى القرية، أنشأ فيها بيتاً يقرب من بيوت العاصمة، على قدر الإمكان، في نظامه وتنسيقه وتقاليده ومستواه.

نشأ سيد قطب في أسرة ليست عظيمة الثراء، ولكنها ظاهرة الامتياز، كانت في وقت من الأوقات عظيمة الثروة، ولكنها توزعت وتضاءلت بالميراث، وبقي لوالده قدر لا بأس به منها، ولكنه كان يتناقص دائما.^{٢٨}

لقد كان لوالديه أثر كبير على تربيته وتنشئته، حيث تركا لمساكنهما التربوية على الكثير من جوانب شخصيته، وغرسا فيه الكثير من المعاني والحقائق، والقيم والمبادئ، غرسا في نفسه الإيمان والطهر والعفاف.

فوالده كان صالحاً ملتزماً، يخرج إلى المساجد للصلاة، ويؤدي الحقوق لأصحابها، ويسير في حياته وتفكيره في اليوم الآخر، ويقرأ الفاتحة قبل أن يأوي إلى فراشه. ووالدته كانت محافظة على دينها، مؤدية لفرائض الإسلام، متصلة بالقرآن، تنصت لقراءته من القرآن بتفاعل واهتمام دقيق.

^{٢٧} بركات، محمد توفيق. سيد قطب حياته وأدبه. ص. ٢٠. نقلاً عن: مجلة الرسالة. أكتوبر. ١٩٤٠م. ص. ١٦٠٢.

^{٢٨} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٣١-٣٢.

وأثّرت هذه التربية في نفسه، فنشأ على تعاليم الإسلام، وكان حريصاً على ارتياد المساجد وأداء الصلوات فيها، وهو طفل صغير، وكان يجلس في دروس العلم في المساجد كالكبار، ويسمع تلك الدروس التي يلقونها علماء الأزهر، ويتفاعل معها، ويناقش المدرّس أحياناً فيها.

وغرس في نفسه محبة المساكين، ونصرة المستضعفين، ودفع الظلم عن المظلومين، فقد كان يرى تعامل والده الطيب مع العمال الأغراب، حيث كان يقدم لهم الطعام والشراب كما يقدمه لأفراد عائلته، ويعطيهم من الأجر أكثر مما يعطيه لأمثالهم، أصحاب الأراضي الآخرين.^{٢٩}

وهكذا يتضح أن سيد قطب قد تربى تربية إسلامية في بيت متدين، قائم على أسس ثابتة من القرآن والسنة الشريفة، إذا كان الأبوان يريدان الصلاح والفلاح لابنهما الحبيب ويقدمان له توجيهاً سليماً نحو مسير حياته، ويفهمانه المسؤولية تجاه والديه. ولا شك كان الابن الصالح أيضاً يدرك مسؤوليته ويريد لهما السعادة في الدنيا والآخرة ويدعو لهما من أعماق قلبه، تلك التربية الناجحة والتي أرادها الإسلام لأبناء الأمة وعلى هذا النحو "نما سيد قطب في القروية ونما معه شيطان الإحساس بالذات والأمل الذي غرسه أمة وراحت تؤكد منذ مولده"^{٣٠}

ثم سافر إلى القاهرة عام ١٩٢٠م وأقام عند جده أحمد حسين عثمان وعن طريقه تعرّف على حزب الوفد وعلى عباس محمود العقاد.^{٣١} وسافر في الباخرة إلى أمريكا في مهمة ميدانية للاطلاع على مناهج التعليم هناك وكان سفره في ٣/١١/١٩٤٨م، ومكث فيها أقل من سنتين حيث وصل بالطائرة إلى القاهرة بتاريخ ٢٠/٨/١٩٥٠م.

^{٢٩} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٥-٥٦.

^{٣٠} بركات، محمد توفيق. سيد قطب حياته وأدبه. ص. ١٨.

^{٣١} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ١٥.

قدم سيد قطب للمحاكمة عام ١٩٥٥م وحكمت عليه المحكمة بالسجن خمسة عشر عامًا
توسط الرئيس العراقي عبد السلام عارف لدى جمال عبد الناصر، للإفراج عن سيد قطب وأفرج عنه
بعفو صحتي عام ١٩٦٤م.^{٣٢}

كان سيد قطب بريئًا مما نُسب إليه ويعلم العالم الإسلامي ذلك، إلى الحد الذي أرسلت البلاد
وفودًا لتدافع عنه وهو داخل السجن ولكن المحكمة رفضت، وأقامت تمثيلات هزلية وأصدرت حكمًا
بالإعدام على أكبر مفكر إسلامي عرفته الأمة العربية الإسلامية.

وفي صبيحة يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م نُفذ حكم الإعدام في سيد قطب وقد استقبل المفكر
الكبير هذا الحكم بنفسه صليًا، ثابتًا، شجاعًا، مؤمنًا بالله ومشيتته. وقال بعد صدور الحكم عليه:
"الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عامًا من أجل الحصول على الشهادة".^{٣٣}

وقبل إعدام سيد قطب بعد أن فشلت محاولات عديدة من بعض الدول الإسلامية لإنقاذه من
حبل المنشقة، نشرت الصحف صورة له وهو يتبسم ابتسامة باهتة وفيما بعد كانت هذه الصورة صورة
مفضلة للصحف تنشرها إذا ما جاءت سيرته.^{٣٤}

وهذا يدل على أنه رجلًا شجاعًا ولم يخف الموت لاثم في بيان الحق وقول الحق ولقي رحمة الله
عليه ربه بقلب سليم، وأسلم روحه إلى ربه سبحانه وتعالى والحمد لله وإننا إليه راجعون.

وفي هذا درس وحكمة من الله تعالى وقد مضت سنة الله تعالى في الأرض أن يصيب المؤمن
الامتحان كي ينال ثواب الآخرة، حيث إن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تحملوا ألوانًا من

^{٣٢} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٢٠-٢١.

^{٣٣} علي، عبد الفتاح. سيد قطب، سيرة ذاتية. ص. ٤٨-٤٩.

^{٣٤} حمودة، عادل. ١٩٩٩م. سيد قطب من القرية إلى المنشقة. مصر: دار قباء. ط. ١. ص. ٢٢٧.

العذاب والإيذاء في سبيل قول الحق وإبلاغ الدعوة إلى الناس، وكما جاء ذلك في قول الله تعالى:

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾.^{٣٥}

كان سيد قطب رجلاً أسمر اللون لَوَحَتْ بشرته شمس الصعيد الحارقة كما كان متوسط الطول ومعتدل الجسم ولا هو بالسمين ولا بالنخيف. وقد كان ضعيف البنية وناحلَ البدن حيث أُنْهَكَتْ جسدَه الأمراضُ التي صاحبته منذ صغره، وقد تركت هذه الأمراضُ آثارها واضحةً على بدنه. وقد كان لحنته التي طالت أثرًا على تدهور صحته، حيث غُيِّبَ في السجون وقضى الوقت الطويل على أرضية الزنازين الباردة وحُرم من أشعة الشمس الدافئة.^{٣٦}

المطلب الثاني: حياته السياسية والاجتماعية

ساهمت الظروف السياسية والاجتماعية التي نشأ فيها سيد قطب في بلورة اتجاهاته الوطنية والثورية، فقد كان أبوه منضمًا إلى الحزب الوطني الذي أسسه الوعيم مصطفى كامل سنة ١٩٠٧م وناظر في مدرسته، أغلق المدرسة لأنه سوف يشترك في ثورة ١٩١٩م.^{٣٧}

نشأ سيد قطب نشأة يمتاز عن الآخرين حيث أُنْعِمَ بذلك بأنه طفل ينتمي إلى وسط يختلف عن وسط القرية، فلم يسمح له أن يلعب خارج البيت مع الأطفال حتى لا يتأثر سلوكهم أو تتسخ ثيابه النظيفة.^{٣٨}

^{٣٥} القرآن. الإسراء ١٧: ٧٧

^{٣٦} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٢.

^{٣٧} علي، عبد الفتاح. سيد قطب، سيرة ذاتية. ص. ٢٣.

^{٣٨} بركات، محمد توفيق. سيد قطب حياته وأدبه. ص. ١٨.

وهذا واضح في جعل سيد قطب بعيداً عن التصرفات الرذيلة مثل السرقات والسباب والشتيم والألفاظ القبيحة والدناءات والرذائل والصراعات التافهة التي كان يلجأ إليها معظم الأطفال في القرية.^{٣٩}

فقد بدأت حياته السياسية منذ حياته مع أبيه، كما ذكر في كتاب صلاح عبد الفتاح الخالدي (١٩٩٤م): "كان والده مشنوراً، عنده إلمامٌ بنواحي المعرفة والثقافة، وعنده وعيٌ سياسي! كان من قراء الصحف، مشاركاً في صحيفة الحزب الوطني اليومية: اللواء، وكان عضواً في لجنة الحزب الوطني في القرية، وكان والده خزينياً نشيطاً، حيث جعل من بيته مركزاً سياسياً، وميداناً للتثقيف الجماهيري، يَفِدُ إليه أهل القرية لقراءة جريدة اللواء، والاطلاع على آخر الأخبار العالمية والمحلية".^{٤٠}

فلا شك أن هذا المناخ فجر في قلبه الحماسة وعشق الوطن والغيرة على الدين الإسلامي من الاحتلال الإنجليزي الذي يستعمل بكل الوسائل لمحاربة اللغة العربية وحرمان الشعب من حقوقه.

وأدرك سيد قطب بوعي مبكر وذهن منتقد وثقافة ملتزمة ما تعاني منه بلاده الخاضعة للمستعمر الإنجليزي وسيطرة الطبقة الحاكمة التي لا تُبني بأمور الشعب أو حاجاته وطموحه ومطالبه.

وشعر سيد قطب بالغضب والسخط على هذه الأوضاع الفاسدة، فلا عجب أن يقف في مدرسته وهو مازال في الثالثة عشرة من عمره ويلقي كلمات في حب الوطن، ونصرة العرب في كل

^{٣٩} سيد قطب، الطفل من القرية، ص. ١٢١.

^{٤٠} الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد، ص. ٣٤.

مكان، ولم يكن سيد قطب يفكر في قضية بلاده مصر وحدها، وإنما الشعوب الأخرى وكيف يمكن مساعدتها ودعم موقفها الثوري ضدّ الغزاة.^{٤١}

وشاهد سيد قطب كيف اشترك فئة الشعب جميعاً في رفض المستعمر الإنجليزي وإطلاق صرخة تتحدى من أجل الحرية والاستقلال، ورددت الجماهير هتافات الحرية وسقطت أجسادها تحت طلقات الرصاص وظلت الصور تتجسد دائماً في ذهن المفكر والشاعر الكبير.

ولاشك أن هذه الظروف التي عاصرها قد ولدت لديه الإيمان والقناعة العميقة بأنه صاحب رسالة أو دور كبير لا بد أن يقوم به لتتويز أذهان الشعب والدفاع عن الحقوق والقيم الإسلامية العظيمة.^{٤٢}

وبعد عودته من أمريكا، عُيّن في وزارة المعارف بوظيفة "مراقب مساعد" بمكتب وزير المعارف وقتها - إسماعيل القبّاني -، ونقل إلى منطقة "القاهرة الجنوبية" في ٢٢/١٠/١٩٥١ م.

بعد الخلافات المستمرة بينه وبين كبار رجال الوزارة، بسبب وقوفهم في وجهه، ورفضهم لآرائه الإصلاحية ذات الصبغة الإسلامية، قدّم استقالته إلى وزير المعارف بتاريخ ١٨/١٠/١٩٥٢ م.

عزّ على وزير المعارف إسماعيل القبّاني تقديم سيد قطب استقالته وحاول عدة مرات أن يُقنعه بالعدل عنها، لكن سيد قطب أصرّ عليها. وأخيراً رفعها الوزير إلى مجلس الوزراء ووافق على قبول الاستقالة.^{٤٣}

^{٤١} علي، عبد الفتاح. سيد قطب، سيرة ذاتية. ص. ٢٣-٢٤.

^{٤٢} المرجع نفسه. ص. ٢٧-٢٩.

^{٤٣} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٢١.

لم تكن هناك صلة قريبة ولا بعيدة تربط بين سيد قطب وجماعة الإخوان المسلمين، ولكن بعد عودته من أمريكا قال سيد على نفسه: "الآن حصحص الحق وأيقنت أن هذه الجماعة على الحق ولم يبق لي عذر عند الله إن لم أتبعها، فهذه أمريكا ترقص على جمجمة البناء، وهذه بريطانيا تسخر أجهزتها وأقلام مخابراتها لمحاربة جماعة الإخوان المسلمين، فصممت في قرارة نفسي أن أدخل الإخوان".^{٤٤}

بدأ سيد قطب يتعرف على جماعة الإخوان المسلمين^{٤٥}، ثم أُنْتُخِبَ عضواً في مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٢م، وعين رئيساً لقسم نشر الدعوة، ثم رئيساً لتحرير جريدة "الإخوان"، وانضم سيد قطب إلى هذه الجماعة، وعمل محرراً في مجلة "الفكر الجديد" ليكتب عن الفكر الإسلامي ويهاجم الاستغلال ويقف ضد الفاسدين الظالمين الذين يسحقون الفقراء وأبناء الشعوب من أجل أمجادهم الشخصية وحياهم الخائفة.

عندما بدأت الجريدة تكشف فضائح النظام في البلاد وخيبات ما يحدث دون دراية الشعب، قام رئيس مصر في تلك الفترة جمال عبد الناصر بإغلاق الجريدة، ثم القبض على جماعة الإخوان المسلمين ورماهم في السجون والمعتقلات.^{٤٦}

وكان الاعتقال الأول لسيد قطب في مطلع عام ١٩٥٤م، وبقي معتقلاً - مع قيادات الإخوان المسلمين - ثلاثة أشهر. اعتُقل الاعتقال الثاني، بعد مسرحية حادث "المنشية" في ١٩٥٤/١١/٢٦. مع

^{٤٤} العاصي، أحمد عبد المقصود. ٢٠٠٩م. عقيدة سيد قطب. مصر: دار الوفاء. ط. ١. ص. ٥٧.

^{٤٥} التي أسسها الشيخ حسن البنا عام ١٩٢٨م، الذي عمل مدرساً في مدينة الاسماعيلية وثقف بعلوم القرآن وهيات له الظروف أن يصبح أحد الملتزمين بتعليم الاسلام، فأخذ يفرس في الشباب القيم الأخلاقية والدعوة إلى رؤياً اسلامية خالصة من أجل حياة كريمة.

^{٤٦} علي، عبد الفتاح. سيد قطب، سيرة ذاتية. ص. ٤٣-٤٤.

الألوف من "الإخوان المسلمين"، الذين اتَّهموا بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر. قدم سيد قطب للمحاكمة عام ١٩٥٥م، وحُكِّم عليه المحكمة بالسجن خمسة عشر عامًا.^{٤٧}

وأُعيد إلى السجن مرة أخرى لأنه كتب رسالة احتجاج إلى المباحث العامة عندما اعتقل أخوه مُحمَّد قطب في ١٩٦٥/٧/٣٠م، وقدم للمحاكمة مع الكثير من الإخوان، وأصدرت السلطات المصرية الناصرية عليه حكم الإعدام مع كبار الإخوان المسلمين فأعدم في فجر الاثنين ١٣/جمادي الأولى/١٣٨٦هـ، الموافق ١٩٦٦/٨/٢٩م. وحين جاء خبر هذا القرار إليه وقال بثبات وإيمان كلمته المشهورة بعد إصدار حكم الإعدام عليه: "الحمد لله لقد عملتُ خمسة عشر عامًا من أجل الحصول على الشهادة".^{٤٨}

المبحث الثاني: مكانته العلمية

المطلب الأول: رحلته العلمية

خرج سيد قطب من البيت طفلاً مميزاً بذكائه لينمو هذا التميز والشعور بين أقرانه وزملائه في الشارع وفي المدرسة، شأنه في هذا شأن أبناء الأسرة المعروفة فإذا أضفنا إلى ذلك أن والده كان مجاملاً مضيافاً للناس بعامة ولناظر المدرسة والمدرسين بخاصة.

^{٤٧} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٢٢.

^{٤٨} حسين، عبد الباقي مُحمَّد. سيد قطب، حياته وأدبه. ص. ٤٧-٤٨.

في المدرسة كان العريف والناظر يعينان بالتدريس له على حدة داخل الفصل في شبه درس

خصوصي، وفي خارج المدرسة كان يلمس اهتمام الناس به مباشرة بمداعتهم له، وغير مباشر بالسؤال عنه عند والديه.^{٤٩}

لمّا ناهز السادسة من عمره -سنة ١٩١٢م- أرسله أهله للدراسة في المدرسة ولم يتحمّس للأمر،

لأنه كان يفضّل أن يبقى في الدار، يلعب مع أخت ولداته الصغار.^{٥٠} وتخرّج سيد من المدرسة حاملاً الشهادة الابتدائية عام ١٩١٨م، ثم انقطع عن الدراسة عامين، بسبب قيام ثورة ١٩١٩م.^{٥١}

وفي السنة الثانية الابتدائية، وعمره لا يتجاوز ثماني سنوات، عليه أن يفنّد دعايات فريق الكتاب

إنهم يزعمون أنّ المدرسة تحارب القرآن وأن الكتاب يُحفظه لطلّابه وهم فخورون بذلك، فاستقرّ رأي سيد

قطب على أن يسابقهم فيما اختصّوا به، وهو حفظ القرآن، ودعا طلاب المدرسة إلى الإقبال على حفظ

سور من القرآن.

وأقبل سيد قطب على حفظ القرآن وهو في السنة الثانية الابتدائية وعمره حوالي ثماني سنوات:

"إذن، فليؤجّه همّه إلى حفظ القرآن حتى يهلك هذه الحجة الكبرى، وإنه ليرهُق نفسه وصحّته المرهقة

ويسهر إلى منتصف الليل ليعيد في كل ليلة جميع ما سبق له حفظه من القرآن، وذلك بجانب الدروس

الأخرى فما يكتمل العام حتى يكون قد حفظ ثلث القرآن حفظاً جيّداً يباهي به من يتحداه."

^{٤٩} حسين، عبد الباقي مُجّد. سيد قطب، حياته وأدبه. ص. ١٩.

^{٥٠} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٧.

^{٥١} المرجع نفسه. ص. ١٩.

استمرَّ سيد قطب على حُطته في حفظ القرآن، بهمة وتصميم، حيث كان يحفظ كل عام عشرة أجزاء، وبعد ثلاث سنوات، أتم حفظ القرآن كاملاً، وكان يتحدَّى مَنْ يواجهه، ويُطالبه أن يمتحن حفظه، وأن يُسمِّع له ما شاء من السور والآيات.

وكان إتمامه حفظ القرآن، وهو في حوالي السنة العاشرة من عمره وكان في السنة الرابعة الابتدائية، كان حفظه القرآن تحديًا للكتاب ولشيخه وطلابه، وإبطاً لدعاياتهم ضدَّ المدرسة، وانتصاراً للمدرسة، وداعية لها، وإن الإنسان ليعجب من همة سيد قطب وعصاميته وجديته، حتى وهو طفل صغير في السنه الثانية الابتدائية.^{٥٢}

تأثر الطفل بالقرآن الكريم، وانطلق خياله، يتفسر الوجود عن صور الجنة والنار والثواب والعقاب وكيف تكون أجنحة الملائكة وهذه الحياة الأخرى، ويقرأ القرآن الكريم وسيرة الصحابة وحياة الرسل والأنبياء، ويتوغَّل إلى عالم شفاف، يخطف روحه إلى السماء.^{٥٣}

وكما كتبه سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن: "لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير، لا ترقى مداركي، إلى آفاق معانيه، ولا يحيط فهمي بحليل أغراضه، ولكنني كنتُ أجد في نفسي منه شيئاً".^{٥٤}

وهذا التأثير بالقرآن دفعه إلى التأمل، وأن يخلو إلى ذاته، ويتفكر في خلق السموات والأرض. كما يقول الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي

^{٥٢} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٩-٦٠.

^{٥٣} علي، عبد الفتاح. سيد قطب، سيرة ذاتية. ص. ١٦.

^{٥٤} قطب، سيد. ١٩٤٥م. التصوير الفني. القاهرة: دار المعارف. ط. ١. ص. ٧.

الْأَلْبَنِي ٥٥ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا

مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٥٥.

نشأ سيد قطب على الشعور بالرجولة منذ صغره كما نشأ على التدئين والعبادة، فكان يتصرف تصرف الرجال وهو صبي في العاشرة من عمره فيحافظ على أداء الصلوات في المسجد جماعة كالرجال. ويسهر حتى العاشرة مساءً مع الرجال، ويسير في شوارع القرية ليلاً كالرجال.

وكان يجتاز شوارع القرية بعد العشاء - فلقد أخذ يصلي في المسجد تشبهاً بالرجال - ومنذ أن بلغ العاشرة كان في وهمه قد صار رجلاً مسؤولاً ذا أهمية خاصة، فما يليق أن يترك صلاة الجماعة مع الرجال! كما بدأ يسهر ويتأخر في السهر، حتى ليصل في بعض الأحيان إلى الساعة العاشرة. إذا ما حضر واعظ إلى المسجد ليخطب الناس، كان سيد قطب يجلس ليستمع إلى الموعظة ويفكر في ما يسمع وأحياناً يقف ليناقش الواعظ - وهو الطفل الصغير - بجرأة وشجاعة! ٥٦

وسافر إلى القاهرة لتأمين مستقبل الأسرة والحفاظ على مجدها وشرفها وأن هذا السفر كان أملاً لأقرب الناس وأحبهم إلى قلبه وهي أمه فهي التي ألهمت وأوحى به ٥٧ وهو في الرابعة عشرة للدراسة فيها عام ١٩٢٠م، وأقام عند خاله أحمد حسين عثمان في حي "الزهون". التحق بمدرسة المعلمين الأولية في القاهرة، وكان اسمها "مدرسة عبد العزيز" عام ١٩٢٢م ودرس فيها ثلاث سنوات وتخرج منها حاملاً إجازة "الكفاءة" للتعليم الاوَّلي. ٥٨

٥٥ القرآن. آل عمران ١٩٠:٣-١٩١

٥٦ الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٦٢.

٥٧ حسين، عبد الباقي نُحْد. سيد قطب، حياته وأدبه. ص. ٢٢.

٥٨ الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ١٩.

وتخرج من المدرسة سنة ١٩٢٤م، حاملاً إجازة الكفاءة للتعليم الأولى وكان يعمل مدرساً ويحصل على وظيفة براتب ثابت، ولكنه وجد في نفسه رغبة في الاستزادة من العلم والدراسة وطموحاً إلى ما هو أعلى.^{٥٩}

جاء سيد قطب إلى القاهرة في بداية العشرينيات، وهو يعرف مهمته، والتحق بإحدى مدارس المعلمين الأولية وهي مدرسة عبد العزيز، فوقف عليها كل اهتماماته منطلقاً نحو غايته، ولكن يبدو أن أحوال الأسرة المالية أخذت تسوء في تلك الأثناء يوماً بعد يوم ولم يكد ينتهي من دراسته في مدرسة عبد العزيز ويحصل على إجازة الكفاءة للتعليم الأولى.^{٦٠}

ففي هذه المرحلة، أصبح سيد قطب طالباً متفوقاً شغوفاً بالاطلاع على الأعمال الأدبية وحريصاً على التثقيف الذاتي ومتابعة النشاط الثقافي عامة، وبعد أن مكث في مدرسة المعلمين الأولية ثلاث سنوات وحصل على إجازة الكفاءة للتعليم الأولى، عزم مواصلة دراسته بتجهيزية دار العلوم، فالتحق بها عام ١٩٢٥م، وكانت الدراسة بها تيسر على غرار القسم الأدبي بالمدارس الثانوية، إضافة إلى مقرراتها دراسة اللغات الأجنبية والترجمة.^{٦١}

وبعد أن أكمل دراسته في كلية دار العلوم عين مدرساً ومعيداً فيها لأنه كان متميزاً بين أقرانه في الدراسة وله كفاءة في التدريس ثم عين موظفاً رسمياً بوصفه مدرساً في تحضيرية الداودية بتاريخ ١٩٣٣/١٢/٢م بمرتب قدره ستّ جنيهات في ذلك الوقت، واستمر في هذا العمل لمدة عامين.

^{٥٩} العاصي، أحمد عبد المقصود. عقيدة سيد قطب. ص. ٣٦.

^{٦٠} حسين، عبد الباقي محمد. سيد قطب، حياته وأدبه. ص. ٢٣.

^{٦١} المرجع نفسه. ص. ٥٤.

ثم انتقل للتدريس بمدرسة دمياط الابتدائية بتاريخ ١٩٣٥/٩/١م، ولكنه لم يقض مدة طويلة لأن حالة الطقس وطبيعة الجو في دمياط لم تتفق مع حالته الصحية من ناحية، ولابتعاده عن القاهرة مركز الحركة الثقافية ومقر جميع الصحف التي تعين دخلاً مالياً له من خلال كتابة المقالات والقصائد وينشرها من ناحية أخرى. فانتقل بعد ذلك إلى مدرسة بني سويف الابتدائية بتاريخ ١٩٣٥/١٢/١، وبقي فيها عاماً كاملاً، ثم انتقل للتدريس بمدرسة حلوان الابتدائية القريبة من القاهرة، بتاريخ ١٩٤٠/١١/١م.^{٦٢}

وبعد دراسة ظل سيد قطب مشغولاً بالأدب والنقد الأدبي متأثراً بأستاذه الروحي العقاد، وكان له في الوقت ذاته اهتماماته الإسلامية التي برزت مع كتابه "العدالة الاجتماعية في الإسلام"، وعندما ابتعث من قبل وزارة المعارف - التعليم - إلى أمريكا لدراسة نظم التعليم بها، أصابته الدهشة إذ رأى فرحة بادية على وجوه عدد من الأمريكيين حولوه وحين سألهم عن السبب أخبروه أن سر فرحتهم هو مقتل أحد الزعماء الإسلاميين في مصر وهو الشيخ حسن البناء، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وقد وصفوه بأنه أكبر عدو للغرب، وكانت هذه الحادثة نقطة تحول في حياة سيد قطب إذ قرر أن يتعرف أكثر على هذه الجماعة بعد عودته.^{٦٣}

وعندما قامت جماعة الإخوان بنشر مفاهيمهم قام سيد قطب بدراسة عميقة حولهم فوجد الجماعة ذات مبادئ وأسس قوية، هدفها إقامة حكم الله تعالى وشريعته على وجه الأرض. ومن هذا المنطلق، رأى سيد قطب ضرورة الانتماء والانضمام إلى هذه المنظمة الإسلامية ونيل الفساد من الأرض وإقامة الدين. وأصبح سيد قطب أحد البارزين لهذه الجماعة.^{٦٤}

^{٦٢} حسين، عبد الباقي، محمد. سيد قطب، حياته وأدبه. ص. ٢٨.

^{٦٣} علي، عبد الفتاح. سيد قطب، سيرة ذاتية. ص. ٤٣.

^{٦٤} بركات، محمد توفيق. سيد قطب خلاصة حياته. ص. ١٧.

وانضم سيد قطب -رحمة الله عليه- إلى جماعة الإخوان المسلمين، وعانى مع الإخوان ولقي من صنوف العذاب ألواناً منذ شاركهم من حكام العصر ودخل مع أفراد هذه الجماعة السجون، حيث خاض سيد قطب كل مراحل الصراع والحن التي بدأت منذ عام ١٩٤٥م إلى عام ١٩٦٦م.

وحين أراد سيد قطب أن يوضح الحق لأبناء الأمة، ويبيّن لهم أن لهم دوراً في خدمة المجتمع الإسلامي عامة وإنقاذه من الهلاك، وجهت السلطات المصرية اتّهامات إرهابية ضد الإخوان المسلمين، وكان هذا الإتهام هو اشتراكهم في مقاومة ثورة يوليو التي قام بها تنظيم الضباط الأحرار.^{٦٥}

وفي عام ١٩٥٤م، بدأت سلطان جمال عبد الناصر حملة اعتقال واسعة لأعضاء الإخوان المسلمين وزجت بهم في السجون المصرية، حيث اعتقل منهم لأول مرة عددٌ كبير يصل إلى ألف. وحكم عليه وعلى سبعة منهم بالإعدام، منهم الأستاذ حسن الهضيبي، والسيد مُحمَّد عبد اللطيف، والأستاذ هندأوي دير، والأستاذ عبد القادر عودة. وحكم على سيد قطب خمسة عشرة سنة بتهمة اشتراكه في محاولة قلب نظام الحكم.^{٦٦}

وكان سيد قطب زعيماً روحياً للإخوان في السجن والرّعيم الفعلي لهم بعد الخروج من السجن. وكان اتّهام الحكم للإخوان وخاصة لقيادتهم أنهم يريدون تغيير الحكومة بالثورة.^{٦٧}

وتم الإفراج عنه بعفو صحي في مايو عام ١٩٦٤م، بتدخل رئيس الدولة العراقية عبد السلام عارف وأعيد إلى السجن مرة أخرى لأنه كتب رسالة احتجاج إلى المباحث العامة عندما أُعتقل أخوه مُحمَّد قطب في ٣٠/٧/١٩٦٥م، وقدم للمحاكمة مع الكثير من الإخوان، وأصدرت السلطات المصرية

^{٦٥} البناء، جمال. ١٩٩١م. رسالة إلى الدعوة الإسلامية. القاهرة: دار الفكر الإسلامي. ص. ١٢.

^{٦٦} حسين، عبد الباقي مُحمَّد. سيد قطب، حياته وأدبه. ص. ٤٧.

^{٦٧} حمودة، عادل. سيد قطب، من القرية إلى المنشقة. ص. ٢٢١.

الناصرية عليه حكم الإعدام مع كبار الإخوان المسلمين فأعدم في فجر الاثنين ١٣/جمادي الأولى/١٣٨٦هـ، الموافق ٢٩/٨/١٩٦٦م. وحين جاء خبر هذا القرار إليه وقال بثبات وإيمان كلمته المشهورة بعد إصدار حكم الإعدام عليه: "الحمد لله لقد عملتُ خمسة عشر عامًا من أجل الحصول على الشهادة".^{٦٨}

وفي شيء من التجدد الذي عهدناه في طفولته مع الاستعانة بعزيمة صادقة والتمسك بآمال عريضة، لم يشأ أن يخضع لتلك الظروف، واشتغل مدرسًا أوليًا أي ابتدائيًا في القاهرة لكي يستعين برتبته البسيط على تحمل أعباء المسؤولية واستكمال دراسته العليا وعندئذ بدأ يواجه الحياة مواجهة مباشرة، من غير حماية أو رعاية من أحد.

واتصال سيد قطب بالجمع الذي يعيش فيه لم يكن اتصال انسجام وتوافق، إن هذا التغيير الذي حدث في حياته كان سببًا في الاحتكاك المباشر بالبيئة والجمع من حوله، ومجتمع القاهرة الذي بدأ يتعامل معه لم يكن مجتمعًا حضاريًا، بل مختلف عن مجتمع القرية.

وكما وصفها سيد قطب نفسه بقوله في مجلة الرحالة، شهر يناير ١٩٤١م، عام ٣٩٤، صفحة ٦٨: في مصر ما لا يحفظ التاريخ من فحش يعجز بها وفحش يشمل كل شيء، يشمل الضمائر والأسرار، ويشمل التصرف الشخصي اليومي للألوف والملايين، في مصر فحش من الفقر وفحش من الغنى، وفحش من الحرمان، وفحش من المتاع، وفيها فحش من النعومة التافهة يقابلها أثره عمياء صغيرة المطامح قريبة الآفاق لا تعدو لذة كلذة المشتريات والهوام.^{٦٩}

^{٦٨} حسين، عبد الباقي، محمد. سيد قطب، حياته وأدبه. ص. ٤٨.

^{٦٩} الباقي، محمد حسين. سيد قطب، حياته وأدبه. ص. ٢٤-٢٦.

وبسبب تفوّقه في تلك الدراسة، التحق بمدرسة ثانوية، وهي تجهيزيّة دار العلوم وكان لا يدخلها إلاّ الطلبة المتفوّقون، وكانت تعدّ الطلبة للالتحاق بكلية دار العلوم، وكان التحاقه فيها عام ١٩٢٥م. التحق بكلية دار العلوم عام ١٩٢٩م، وتخرج فيها عام ١٩٣٣م، حاملاً شهادة البكالوريوس في الآداب.^{٧٠}

المطلب الثاني: شيوخه وأساتذته

كان أستاذهُ سيد قطب في المدرسة أثّروا فيه كثيراً وحرصوا على غرس المعاني الروحية والأخلاقية في نفسه ونفوس الطلاب الآخرين وهو "عباس الثاني وثابت الجرجاوي"، من بعض الأساتذة الذين رآهم سيد قطب وأثّروا فيه وفي غيره من الطلاب. ناظر المدرسة الشاب الذي كان شديد العناية بتربية التلاميذ، التربية الخلقية والروحية وعدم الوقوف بهم عند حدود المعلومات المدرسية الجافة، وكان الناظر الشاب الذي يحبّ لسيد قطب ومحبّاً به وبذكائه وجديته واهتمامه وكان سيد متفوّقاً في الدراسة، وبخاصة دروس اللغة العربية وكان سيد يثق بهذا الناظر ويحبه ويصدقّه ويتأثر به.^{٧١}

ولمّا دخل في الكلية دار العلوم كان أساتذته يقدرونه وكانوا معجبين به وبعلمه وحمته وشخصيته، رغم أنه كان يخالفهم في بعض الآراء والمسائل والقضايا الفكرية والأدبية، ومن إعجابهم به وتقديرهم له، موافقتهم على أن يلقي المحاضرات الأدبية على مدرّج الكلية ويسمعها الطلاب والأساتذة ويقدمه فيها هؤلاء الأساتذة. وهو أستاذ "مُجد مهدي علام" لما ألقى محاضرة عن مهمة الشاعر في

^{٧٠} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ١٩.

^{٧١} المرجع نفسه. ص. ٦٣-٦٤.

الحياة أورد بعض الأبيات الشعرية لأحمد شوقي، ونقدتها بعلمية وموضوعية وبين ما يأخذه على أحمد شوقي فيها بصراحة وجرأة وشجاعة.^{٧٢}

وكان من بعض شيوخه هو الأديب "علي الطنطاوي"، وقال: "وأقسمُ أنني شُدهت، وكنت أرتقبُ أن يكون هذا الشاب أيّ إنسان إلا سيد قطب، وكنت أستطيع أن أتخيل سيد قطب على ألف صورة إلا هذه الصورة، وازددتُ يقيناً أن من الخطأ البين أن نحكم على شخص الكاتب من كتابته، أو نعرف الشاعر من شعره".

كما فوجئ به في نفسه الحليمة مرةً أخرى عندما أهداه كتابه التصوير الفني في القرآن، وقال: "لم أتخيلُ سيد قطب إلا مقارعاً محارباً، ولم أعرفه إلا كاتباً مجادلاً مناضلاً، يهاجم مهاجماً ومدافعاً ومحامداً".

وأيضاً من شيوخه هو أبو الحسن الندوي، وقال له: "كنت أتخيّله أديباً في العقد الرابع من عمره، فارغ القامة، عريض ما بين المنكبين، قوي البنية".

ومن الشيوخ أيضاً رئيس وزراء مصر "محمد محمود باشا"، فقد روى الأستاذ يوسف العظم في كتابه عن سيد قطب: أن رئيس الوزراء أعلن أنه سيضرب بيد من حديد كل من تسوّل له نفسه الإخلال بالأمن أو إشاعة الفوضى أو النيل من الحكام، فردّ سيد قطب عليه قائلاً: "يا صاحب اليد الحديدية! إنك لو بحثت عن يدك الحديدية تلك، لوجدتها قد صدّدت واهترأت".^{٧٣}

^{٧٢} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٧٨-٧٩.

^{٧٣} المرجع نفسه، ص. ٥٠-٥١. انظر: مجلة الرسالة. ١٩٤٥ م. س. ١٣. ج. ٢. شهر ديسمبر. ع. ٦٤٧. ص. ١٣١٣.

فغضب رئيس الوزراء لقسوة الكلمة واستدعى سيد قطب لمقابلته فذهب إليه، ولما دخل مكتبه

بُحث رئيس الوزراء لما رأى من حداثةِ سنَّة، وقال له: "أنت الذي كتبت هذه المقالة!" قال سيد: نعم،

فقال رئيس الوزراء: "ولماذا كتبتها بهذه اللهجة العنيفة؟ فأجاب سيد: هذا ما أؤمن به" فأعجب رئيس

الوزراء به، وقال: "أذهب يا بني واكتب كما تشاء".^{٧٤}

يعتبر أبو الأعلى المودودي^{٧٥} أستاذًا لسيد قطب في بعض الأفكار والمصطلحات، حيث تتلمذ عليه

من خلال كتبه ورسائله التي نشرت في مصر قبل اعتقال سيد وأثناء سجنه - وإن لم يتم بينهما لقاء في هذه

الحياة الدنيا - وأخذ بعض أفكاره وتبناها وأضاف عليها. وكان يكثر في الظلال من الإحالة على كتب

المودودي المختلفة ويشيد بالمودودي ويثني عليه باستمرار، بل كان أبو الأعلى المودودي هو المفكر الإسلامي

المعاصر الوحيد الذي حظي من سيد قطب بلقب "المسلم العظيم".^{٧٦}

المطلب الثالث: مؤلفاته

التحق سيد قطب بكلية دار العلوم في عام ١٩٣٠م، وبعد التخرج عمل في الصحافة وكتب

القصة القصيرة والقصائد والمقالات النقدية الأدبية والاجتماعية، وقد غلب على إبداءة لمسات روحية

شفافة واهتمام كبير بالقيم والأخلاق.^{٧٧}

^{٧٤} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥١.

^{٧٥} الإمام أبو الأعلى المودودي هو من أبرز مفكري الإسلام في العصر الحاضر، وفي طليعة مفكري الإسلام في شبه الهندية على وجه الخصوص، وقد مزج بين الفكر والدعوة والعمل، حيث أنشأ ورعى الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية. وقد ألف العديد من الكتب والرسائل والأبحاث التي أوضح فيها الفكر الإسلامي وجوانبه. انظر: الخالدي، صلاح. الظلال القرآن في الميزان. ص. ٥١.

^{٧٦} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. في ظلال القرآن في الميزان. جدة: دار المنارة. ط. ١. ص. ١٥١.

^{٧٧} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. في ظلال القرآن في الميزان. ص. ٣٣.

ألف أول كتاب إسلامي - وهو كتاب "التصوير الفني في القرآن" - في "أبريل" - نيسان -

١٩٤٥ م.^{٧٨}

ومن مؤلفاته الأخرى:

(١) "مشاهد القيامة في القرآن"، وقد أهدى سيد قطب هذا الكتاب لأبيه، وقال له فيه: لقد طبعت

في حسني - وأنا طفل صغير - مخافة اليوم الآخر، لم تعطني أو تزجرتني، ولكنك كنت تعيش

أمامي. واليوم الآخر في حسابك، وذكره في ضميرك، وعلى لسانك. كنت تعلل تشددك في

الحق الذي عليك، وتسألك في الحق الذي لك، بأنك تخشى اليوم الآخر. وكنت تغفو عن

الإساءة، وأنت قادر على ردّها، لتكون كفارة لك في اليوم الآخر. وكنت تجوّد أحياناً بما هو

ضرورة لك، لتجدهم دُخولاً في اليوم الآخر.^{٧٩}

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام، ألف سنة ١٩٤٨ م بالقاهرة.

(٣) في ظلال القرآن.

(٤) معركة الإسلام ورأس مالية، سنة ١٩٥١ م.

(٥) السلام العالمي والإسلام، سنة ١٩٥١ م.

(٦) المستقبل لهذا الدين.

(٧) هذا الدين.

(٨) الدراسات الإسلامية. طبع في سنة ١٩٥٣ م بمكتبة لجنة الشباب المسلم بالقاهرة.

(٩) نحو المجتمع الإسلامي والمسلمين، سنة ١٩٥٤ م.

^{٧٨} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٢٠.

^{٧٩} المرجع نفسه. ص. ٣٦.

(١٠) الإسلام والمشكلات الحضارية، سنة ١٩٦٢م.

(١١) خصائص التصوير الإسلامي ومقوماته، طبعه دار إحياء الكتب العربية في سنة ١٩٦٤م.

(١٢) معالم في الطريق، سنة ١٩٦٤م.

(١٣) معركتنا مع اليهود، وغيره من الكتب.

في عام ١٩٤٧م، ذهب سيد قطب في بعثة إلى أمريكا لدراسة نظم التربية وسجل هذه التجربة في كتابه "أمريكا التي رأيت"، تحدث في هذا الكتاب عن التناقض والمساوئ التي شاهدها هناك مثل التفرقة العنصرية والحرية الزائفة، ودعاه هذا إلى التأكيد على المنهج الإسلامي في مقاومة العالم الغربي الذي يحاول تمزيق هويتنا وإرادتنا العربية الإسلامية بما يقدمه لنا من ثقافة مدمرة لا تجد إطلاقاً بل هي وقتية وزائلة.^{٨٠}

إن أسلوب سيد قطب في الكتابة -الحاد العنيف- لا يدل على مظهره، لقد وجده علي الطنطاوي -على حدّ قوله- "لطيفاً هادئاً"، تبدو عليه سيما المسالمة والموادعة والإيناس".^{٨١}

أهمية الكلمة ودورها عند سيد قطب: "أن كل كلمة عاشت قد اقنات قلب إنسان، أما الكلمات التي وُلدت في الأفواه وقذفت بها الألسنة، ولم تتصل بذلك النبع الإلهي، فقد وُلدت ميتة لأنها لم تدفع بالبشرية شبرًا واحدًا إلى الأمام".^{٨٢}

^{٨٠} علي، عبد الفتاح. سيد قطب، سيرة ذاتية. ص. ٣٣.

^{٨١} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٢. انظر: مجلة الرسالة، س. ١٣. ج. ٢. ع. ٦٤٨:

١٣١٣/١٢/٣. ٩٤٥/١٢/٣.

^{٨٢} علي، عبد الفتاح. سيد قطب، سيرة ذاتية. ص. ٤٥.

المبحث الثالث: التعريف بكتاب "في ظلال القرآن"

المطلب الأول: التعريف بكتاب "في ظلال القرآن"

قد يتساءل البعض: لماذا يختار الباحث ظلال القرآن لدى سيد قطب في بحثه؟ أليس هناك كاتب ومفكر آخر من الكتّاب الإسلاميين الكبار كابن عباس والمودودي أو العلماء الإندونيسيين البارزين أمثال: بويّا حمكا "Buya Hamka" ومحمود يونس "Mahmud Yunus" وقريش شهاب "Qur'ish Shihab"؟ وأن في الأساس فإن جميع علماء الإسلام هي جيدة وممتازة.

وخاصة في تفسير القرآن الكريم هي نتيجة لتفاعلها مع القرآن بشكل مكثف خلال حياتهم، حتى في بعض الأحيان فهمهم للقرآن وممارسة المحتوى متعمقة وتوزيع القيم الواردة فيه هي التي تسبب لهم باستمرار لمواجهة مختلف التجارب سواء من نفسه أو من الخارج.

ورأى الباحث أن واجه سيد قطب كمؤلف كتاب تفسير ظلال القرآن التجارب من الخارج، خاصة من السلطات أو الأطراف الذين يرغبون في القرآن بعيداً عن الرأس والقلب ومشاعر وسلوك الناس، حتى يخلّي نفسه على حبل المشنقة في نظام جمال عبد الناصر وذلك للحفاظ على محتوى ومجد القرآن الكريم.

فقد أصبح كتاب التفسير في ظلال القرآن لدى سيد قطب رحمه الله مصدراً لبعض المعلمين والمدرسين اليوم، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم أصدره سيد في ثلاثين جزءاً - بعدد أجزاء القرآن - وسجل فيه آراءه وأفكاره، وتصوّره للإسلام والدعوة والحركة والمواجهة والتغيير.

قال عنه الأستاذ مُجَدُّ قُطْب: "الكتاب الذي عاشهُ صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله،

وعاشه لحظةً لحظةً وفكرةً فكرةً ولفظةً ولفظةً وأودعهُ خلاصةَ تجربته الحية في عالم الإيمان".^{٨٣}

والسيد قطب في الظلال يعتبر مجددًا في عالم التفسير لما أضاف من معان وأفكار حركية وتربوية على التفسير السابقة، كما أن سيد قطب في الظلال يعتبر مؤسسًا لمدرسة جديدة في التفسير

هي مدرسة التفسير الحركي.^{٨٤}

المطلب الثاني: مراحل التي مر بها كتاب في ظلال القرآن

١. المرحلة الأولى: الظلال في مجلة المسلمين

لما أصدر سعيد رمضان مجلة المسلمين في نهاية عام ١٩٥١م طلب من سيد قطب أن يشارك فيها بمقال دائم، فاختار أن يبدأ الكتابة في تفسير القرآن تحت عنوانٍ جديدٍ مثيرٍ هو في ظلال القرآن، وبهذا تكون قد ظهرت الحلقة الأولى من الكتاب في العدد الثالث من المجلة الذي ظهر في شهر فبراير عام ١٩٥٢م واستمرت المرحلة تُنشرُ حلقات الظلال في أعدادها اللاحقة بالتتابع حيث نشرت سبع حلقات انتهت الحلقة السابعة عند الآية ١٠٣ من سورة البقرة.

٢. المرحلة الثانية: في ظلال القرآن قبيل اعتقال سيد قطب رحمه الله

أعلن سيد قطب في نهاية الحلقة السابعة من الظلال في المسلمين عن توقف نشر الظلال في المجلة ابتداءً من عددها القادم -العاشر- حيث ينشر فيها حلقاتٍ من بحثٍ جديدٍ هو نحو

مجتمع إسلامي.

^{٨٣} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٤٤.

^{٨٤} المرجع نفسه، ص. ٥٤٧.

أما الظلال فسوف يظهر في كتب مستقلة، على عدد أجزاء القرآن كل جزء من القرآن في جزء من الظلال، وسوف يُصدر في كل شهرين جزءاً منها وفعلاً ظهر الجزء الأول من الظلال في شهر أكتوبر تشرين أول عام ١٩٥٢م.

ووفى سيد قطب في تعهده للقراء فكان يصدر كل شهرين جزءاً من الظلال، فيه تفسير جزء من القرآن! وفي الفترة ما بين أكتوبر ١٩٥٢م، إلى يناير عام ١٩٥٤م، أصدر ستة عشر جزءاً من

تفسير الظلال^{٨٥}

٣. المرحلة الثالثة: سيد قطب يكمل الظلال في السجن

قدم سيد قطب للمحاكمة، ثم حُكِمَ عليه بالسجن خمسة عشر عاماً. في الفترة الأولى من سجنه لم يُصدر أجزاءً جديدةً من الظلال، بسبب العذاب الرهيب الذي صَبَّ عليه، ولكن لما استقرَّ في سجن طرة وتوقف العذاب عنه، وأدخل مستشفى سجن طرة بسبب أمراضه العديدة، انصرف إلى إكمال الظلال من هناك.

وقد يسر الله لسيد قطب الكتابة في السجن، والناشر طبع الظلال رغم أن لوائح السجون تمنع الكتابة داخلها، ولا تسمح للسجين امتلاك أدوات الكتابة، ويعاقب إن ضُبطت في حوزته.

وذلك أن سيد قطب قد تعاقد مع الناشر -دار إحياء الكتب العربية- على كتابة تفسير كامل القرآن، فلما منعه الحكومة من الكتابة داخل السجن، رفع الناشر على الحكومة دعوى بطالها فيها

^{٨٥} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٤٤-٥٤٥.

يدفع آلاف الجنيهاً، تعويضاً له عن الضرر الذي وقع به بسبب ذلك فاخترت الحكومة السماح لسيد قطب بالكتابة، بدل دفع التعويض للناس.

وَدَّعى عبد الناصر للعلماء الباكستانيين أن سيد قطب ليس سجيناً بل هو حرّ طليق بدليل نشر الظلال في القاهرة، وصار الموظفون الرسميون في الخارج يجيبون بجواب الرئيس إذا سُئلوا عن سيد قطب.

وقد عينت الحكومة الشيخ محمد الغزالي قريباً دينياً على الظلال يطّلع على أصوله قبل صدورها من المطبعة، وقد أجاز الغزالي كل أجزاء وملازم الظلال في طبعة الأولى، ولم يحدف منها إلا تعقيب سيد قطب على سورة البروج، الذي نشره بعد ذلك في فصل هذا هو الطريق من كتاب معالم في الطريق.^{٨٦}

٤. المرحلة الرابعة: الطبعة المنقحة للظلال.

كان تفسير سيد قطب في الطبعة الأولى من الظلال لا يعدو أن يكون تسجيلاً لخواتمه المتنوعة حول الآيات وبياناً لما فيها من جمالٍ وفنٍ وتصويرٍ وعرضٍ لبعض ما تضمنته من مبادئ ومناهج، ولكنه في سجن طالت حياته مع القرآن وتفكيره في الأحداث التواليية والحنن المتابعة التي مرت به وبالإخوان المسلمين وتعليقه سرّ هذه الأحداث ونظرة في منهج الحركة الإسلامية في الدعوة والتربية والإصلاح والجهاد والتغيير.

^{٨٦} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٤٦.

وقد هداه الله تعالى إلى إدراك المفتاح الحركي الذي فتح به كنوز القرآن الحركية ووقف به على المنهج الحركي في الدعوة والحركة وعلى طبيعة الحركية للقرآن الكريم، وقف على ذلك وهو يفسر الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الظلال فسجل في تلك الأجزاء بعض مفهوماته الحركية الجديدة، وكان هذا في أواخر الخمسينيات.

وهكذا جاءت الطبعة المنقّحة من الظلال والتي أصدر الجزء الأول منها في مطلع عام ١٩٦٠م عن دار إحياء الكتب العربية.

كتب سيد قطب الأجزاء العشرة الأولى من الطبعة المنقّحة، على ضوء منهجه الحركي من التفسير وكانت أطول وأعشق وقفات، تلك التي تتعلق بقضايا: العقيدة والدعوة والحركة والجهاد والتشريع والجاهلية.

وكان الجزءان السابع والثامن اللذان ضمّا تفسيره لسورة الأنعام - هما أكثر الأجزاء تركيزاً وأنضجها فكراً وأوضحها دلالة على منهجه الحركي الجديد.

ولما أفرج عنه بعفو صحي عام ١٩٦٤م تابع كتابة الأجزاء، فنشر الأجزاء الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، وبذلك يكون قد وصل في الطبعة المنقّحة من الظلال إلى آخر الجزء.

وكان سيد قطب يريد أن يكمل كتابة باقي الأجزاء من الرابع عشر حتى السابع والعشرين على أساس المنهج الحركي الجديد في التفسير ولكن الطغاة عجلوا باعتقاله ثم محاكمته ثم إعدامه، قبل تحقيق أمانته.

وبعد استشهاد سيد قطب عام ١٩٦٦م صار دور النشر في لبنان يتسابق ويتبارى في نشر الظلال وكتب سيد قطب الأخرى فظهر الظلال في طبعات مسروقة في ثمانية مجلدات، ثم طبع أخيراً طبعاً قانونية مشروعية بإذن من الأستاذ محمد قطب حيث أصدرته دار الشروق في ستة مجلدات.

وترجم كتاب في ظلال القرآن إلى العديد من اللغات الأجنبية، مثل الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأوردولية والأندونيسية وغيرها، وكان هذا الكتاب من أكثر الكتب الإسلامية انتشاراً في هذا القرن.^{٨٧}

ومن مراحل التي من بها سيد قطب رحمه الله تعالى طوال كتابته، رأى الباحث أن فيها جهد عظيم وهمة قوية واستقامة دائمة على نفسه مهما أنه تحت ضغوط حكومة مصر حينئذ، لوضع ما في ذهنه من العلم والمعلومات على صفحة من صفحات كتاب ظلال القرآن الذي نراه اليوم، وقد سكن معظم حياته العلمية في السجن لجهاد بالقلم والكتاب والعلم.

^{٨٧} الخالدي، صلاح عبد الفتاح. سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد. ص. ٥٤٧-٥٤٩.